

البرهان في علوم القرآن

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق العموم المجرد ومثاله قوله تعالى إن
إِياكُمْ أَن تَوَدَّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا فَإِن مَّنَّاسِبَتُهَا لِلْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أَن ذَٰلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ كَانَ قَدِمَ إِلَى مَكَّةَ وَشَاهَدَ
قَتْلَى بَدْرَ وَحَرَضَ الْكُفَّارَ عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِهِمْ وَعَزَّو النَّبِيَّ صَلَّى إِياكُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ مَن أَهْدَى
سَبِيلًا النَّبِيَّ صَلَّى إِياكُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ هُمْ فَقَالَ أَنْتُمْ كَذَبًا مِنْهُ وَضَلَالَةٌ لَّعَنَهُ إِياكُمْ فَتِلْكَ الْآيَةُ فِي
حَقِّهِ وَحَقِّ مَن شَارَكَهُ فِي تِلْكَ الْمَقَالَةِ وَهُم أَهْلُ كِتَابٍ يَجِدُونَ عِنْدَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ بَعَثَ النَّبِيَّ صَلَّى
إِياكُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفْتَهُ وَقَدْ أَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْمَوَاطِئِقُ إِلَّا يَكْتُمُوا ذَٰلِكَ وَأَن يَنْصُرُوهُ وَكَانَ ذَٰلِكَ أَمَانَةٌ
لَّازِمَةٌ لَهُمْ فَلَمْ يُوَدِّوْهَا وَخَانُوا فِيهَا وَذَٰلِكَ مَنَاسِبٌ لِّقَوْلِهِ إِن إِياكُمْ أَن تَوَدَّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَى
إِلَىٰ أَهْلِهَا قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ وَجْهَ النِّظْمِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ كِتْمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ
صَلَّى إِياكُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلِهِمْ إِنَ الْمُشْرِكِينَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا فَكَانَ ذَٰلِكَ خِيَانَةً مِنْهُمْ فَانْجَرَ الْكَلَامُ إِلَى
ذِكْرِ جَمِيعِ الْأَمَانَاتِ انْتَهَى .

ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عقب بدر ونزول إن إِياكُمْ فِي الْفَتْحِ أَوْ
قَرِيبًا مِنْهَا وَبَيْنَهُمَا سِتُّ سَنِينَ لِأَنَّ الزَّمَانَ إِنَّمَا يَشْتَرِطُ فِي سَبَبِ النِّزُولِ وَلَا يَشْتَرِطُ فِي الْمُنَاسِبَةِ
لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا وَضْعَ آيَةٍ فِي مَوْضِعٍ يَنْاسِبُهَا وَالآيَاتُ كَانَتْ تَنْزَلُ عَلَىٰ أَسْبَابِهَا وَيَأْمُرُ النَّبِيُّ
صَلَّى إِياكُمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضْعِهَا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي عَلَّمَ مِنْ إِياكُمْ تَعَالَى أَنَّهَا مَوَاضِعُهَا